الباب الثاني

تمهيد

بعد انتهاء الحرب العامية الثانية بهزيمة المانيا النازية وانتصار الحلفاء على دول المحور بدأ الصراع بين الحلفاء المنتصرين على بسط النفوذ والهيمنة على المنطقة العربية في الشرق الاوسط وشمال افريقيا لما تمثله هذه المنطقة من استراتيجية وثروات طبيعية في مقدمتها النفط والغاز والكبريت والامونيا واحتمال وجود اليورانيوم في المنطقة العربية لم يتم اكتشافه بعد .

عملت الولايات المتحدة الامريكية مع الاتحاد السوفياتي يدا واحدة لدحر النفوذ البريطاني والفرنسي في المنطقة العربية كي تتمكنا من تقاسم النفوذ فيها على غرار ما طبقته كل من بريطانيا وفرنسا ابان الحرب العالمية الاولى وما مثلته معاهدة سايكس بيكو السرية . . . كان هذا الصراع الخفي يحتدم بينهم جميعا وبين المانيا الهتلرية اذ كانت المانيا قبل واثناء الحرب العالمية الثانية تحرض الجماعات المتطرفة العربية والاسلامية على التمرد ضد انظمتها التي استشرى فيها الفساد من اجل بسط نفوذها فيما لو انتصرت على الحلفاء .

في اعقاب تلك الحرب اقيم كيان صهيوني لليهود على ارض فلسطين بدعم ومساعدة من بريطانيا انطلاقا من وعد بلفور الصادر عام ١٩١٧ والذي نص على مساعدة اليهود في اقامة وطن قومي لهم على ارض فلسطين لقاء ما قدمه اليهود من مساعدات تجسسية لبريطانيا ضد الامبراطورية العثمانية وظل اليهود يطالبون بريطانيا بتنفيذ وعدها . . . فساعدت بريطانيا اليهود بتدفق هجرة يهودية غير مشروعة الى فلسطين كما كانت المانيا النازية ايضا تساعد اليهود على الهجرة الى فلسطين عن طريق اضطهاد صوري ومفتعل لهم في المانيا تتوج فيما عرف لاحقا بالمحرقة النازية (الهولوكوست) الذي تمت بالاتفاق بين كبار رجال الحركة الصهيونية وبين ادولف هتلر بهدف ترويع يهود اوروبا والعالم ودفعهم للهجرة الى فلسطين للتعجيل في اقامة كيان صهيوني هناك ، الهجرة التي كان يهود العالم يرفضونها . . اما بعد المحرقة النازية وسبب الذعر والخوف الذي اصابهم من المحرقة والتي بالغت الصهيونية فيها كثيرا ، تسارعت هجرة اليهود الى فلسطين وسهلت بريطانيا التي كانت فلسطين في ذلك الوقت تحت انتدابها ، هجرة اليهود بعد ان ضمنت سكوت وموافقة الانظمة العربية آنذاك ، بل من الحكام العرب من وصف اليهود بالمساكين وقال انه لا يمانع في اقامة وطن لأولئك المساكين على ارض فلسطين العربية .

في اعقاب الحرب ايضا اصبحت امريكا امبراطورية عظمى وانتقل ميزان القوى الاستعمارية اليها واصبحت الشمس لا تغيب عن نفوذها كما كان حال بريطانيا قبل الحرب . . . هكذا اصبحت امريكا بحاجة للكيان الصهيوني من أجل توسيع نفوذها في المنطقة العربية فكان لا بد من تقوية الكيان الصهيوني بكل الوسائل الممكنة والتحالف معه وضمان استقلاله وحمايته من العرب المحيطين به . . . واستمر الصراع بين امريكا وروسيا من جهة وبين بريطانيا وفرنسا من جهة اخرى الى ان نصبت امريكا واسرائيل بالاشتراك مع الاتحاد السوفياتي فخا لبريطانيا وفرنسا بجرهما الى حرب ضد مصر الناصرية تحت ذريعة تأميم قناة السويس . . ولا شك ان تأميم قناة السويس قبل موعد انتهاء مدتها بستة اشهر قد ساعد على دخول بريطانيا وفرنسا في الفخ الذي نصب لهما ووقعا فيه بانجرارهما لمهاجمة مصر عسكريا لاستعادة السيطرة على القناة . . . وهذا ما كانت تسعى اليه امريكا والاتحاد السوفياتي من اجل تشويه صورة بريطانيا وفرنسا عند الشعوب العربية مما يؤدي بالتالي الى تقويض نفوذهما في المنطقة العربية . . . لهذا هبت امريكا في الوقت المناسب لادانة العدوان الفرنسي البريطاني الاسرائيلي على مصر وطالبت بوقف العمليات العسكرية ضد مصر على الفور وطالبت اسرائيل بالانسحاب الفوري من برية سيناء التي كانت قد فتحت امام الاحتلال الاسرائيلي دون ان يصتدم جيشها مع الجيش المصري في سيناء اصطداما حقيقيا حيث كانت الامور منسقة مسبقا تنسيقا دقيقا لتوريط بريطانيا وفرنسا والتخلي عنهما في الوقت المناسب وفعلا بدأ نفوذ الدولتين على اثر ذلك العدوان يخبو ووصل الى نهايته تقريبا بعزل الحبيب بورقيبة عن رئاسة تونس واستبداله بعميل امريكي صهيوني هو زين العابدين بن علي المخلوع ، وكانت تونس المعقل الهام للنفوذ الفرنسي في الشمال الافريقي .

بعد ان نجحت امريكا واسرائيل والاتحاد السوفياتي في بسط نفوذهم في الشرق العربي تقاسمت امريكا مع الاتحاد السوفياتي النفوذ وطبعا كان لامريكا نصيب الاسد في القسمة وهذا يعني ان اسرائيل حظيت بدعم ومساندة وحماية اكبر دولة في العالم . . . . كما عملت امريكا على تنصيب اتباعها من حكام الانظمة العربية على كراسي الحكم في بلادهم وكان ذلك التنصيب مشروطا بخدمة اسرائيل والمصالح الامريكية في المنطقة بمعنى ان امريكا عينت "نواطير" لمصالحها باسماء رؤساء وملوك وسلاطين وعبيدا لاسرائيل في المنطقة العربية .

فلسطين بين الماضي والحاضر

تبلغ مساحة فلسطين الكلية حوالي ١٦٠٠٠ كيلومتر مربع وتقع على الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط . . ولها تاريخ طويل من حيث المساحة والسكان وملكية الارض . . . احتلتها اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ وطردت اصحابها الاصليين العرب من اراضيهم وبيوتهم وما لبثت ان صادرت كل ممتلكات الفلسطينيين الذين حولتهم الى لاجئين سكان مخيمات يعيشون على صدقات هيئة الامم المتحدة . وفي عام ١٩٦٧ اكملت احتلالها للاراضي المتبقية من فلسطين التاريخية ولكنها لم تتمكن من تفريغها من سكانها كما حدث عام ١٩٤٨ نظرا لتمسك السكان بارضهم وبوجودهم وعدم الرضوخ للتهديدات والاجراءات القمعية والمعاملة التعسفيه لهم من قبل القوات المحتلة . . . ولا زالت اسرائيل تحتل كامل فلسطين التاريخية رغم كل القرارات الدولية الصادرة عن هيئة الامم المتحدة التي تدعوها فيها بالانسحاب من الاراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ . . يحد فلسطين من الشرق نهر الاردن والمملكة الاردنية الهاشمية ومن الغرب البحر الابيض المتوسط ومن الجنوب برية سيناء المصرية ومن الشمال لبنان وسوريا . . فلسطين واسمها التاريخي "كنعان" عامرة بأهلها المتحدرين من الاصول الكنعانية العربية على نحو غير منقطع منذ عشرات الالاف من السنين ولا زالت الحفريات في فلسطين والمكتشفات الآثارية فيها تدل دلالة واضحة على وجود الكنعانيين العرب فيها منذ اقدم عصور التاريخ . . . فمدينة اريحا مثلا تحكي الكتابات التي تم اكتشفاها مؤخرا بأن تلك المدينة الكنعانية يرجع تاريخها الى ثمانية الاف سنة قبل مولد السيد المسيح عليه السلام . . وهذا يؤكد ان عمر المدينة المعروف حتى الان يصل الى عشرة الاف سنة ونيف . . . كما تشير المكتشفات الى ان اريحا اقدم موضع للزراعة التي مارسها الكنعانيون فجعلوا منها اغنى مدن العالم القديم .

تشير السجلات الآثارية الى ان اصل اليهود يعود الى القبائل الغازية لفلسطين وهناك اعتقاد بأن قبائل تدعى القبائل العبرانية هجرت بلاد ما بين النهرين واستقرت في وقت لاحق في بلاد كنعان ما بين ١٨٠٠ – ١٥٠٠ قبل الميلاد وكانت البلاد آنذاك تضم الى جانب اهلها الاصليين "الكنعانيين" قبائل مختلفة منها : الحثيون والفلسطينيون او "الفلستينوس" من ذوي العروق اليونانية . . اذ انهم قدموا اليها فيما بعد وهم من الشعوب التي هاجرت من الجزر اليونانية والشعوب اليونانية القديمة واستقرت في سيناء ثم انتقلت من هناك الى المناطق الجنوبية من فلسطين والتي تعرف اليوم بمنطقة غزة ومدينة "حبرون الزاهرة" او مدينة الخليل الحالية .

الكتاب المقدس " التوراة " يشير الى ان موسى عليه السلام قاد القبائل الاسرائيلية او قسما منها من مصر وغزا فلسطين بقيادة يشوع بن نون ، واعتمادا على رواية الكتاب المقدس فأنه يمكن التخمين بأن الملك داود ايضا كان قد غزا القدس حوالي عام ١٠٠٠ قبل الميلاد واقام مملكة يهودية على معظم الاراضي الكنعانية واجزاء من الضفة الشرقية لنهر الاردن . . بعد وفاة سليمان بن داود تم تقسيم مملكة يهودا الى يهود الجنوب ويهود الشمال وظلت القدس مركز السيادة والعبادة عند اليهود في جميع الاوقات التي كان لهم فيها سيادة على البلاد .

الآشوريون العراقيون قاموا باحتلال بلاد كنعان في عام ٧٢٠ قبل الميلاد . . . كما غزا البابليون البلاد الكنعانية نحو عام ٥٨٦ قبل الميلاد . . . وقد ترتب على الاحتلال الآشوري السيطرة على شمال بلاد كنعان حيث ساق الاشوريون بني اسرائيل سبايا الى بلاد ما بين النهرين (العراق) فكان السبي الاول لبني اسرائيل . . . اما السبي الثاني فكان على ايادي البابليين الذين احتلوا منطقة القدس وسبوا اليهود الى بابل ايضا فكان السبي البابلي الثاني بعد حوالي سبعين عاما على الغزو البابلي لفلسطين غزا ملك بلاد فارس "قورش الاخميني "مملكة بابل وواصل احتلاله غربا الى البحر الابيض المتوسط وسمح لعدد من اليهود في بابل بالعودة الى القدس للاستيطان فيها وبقي عدد كبير من اليهود في بابل ليشكلوا اول تجمع يهودي وقاموا بانشاء محمية يهودية هناك .

في المنفى البابلي الثاني حافظ اليهود على صلاتهم مع السلطات الفارسية الحاكمة والتي دام حكمها لبلاد ما بين النهرين وفلسطين من عام ٥٣٠ – ٣٣١ قبل الميلاد اي حوالي مائتي عام الى ان قام الاسكندر المقدوني الاغريقي باحتلال الامبراطورية الفارسية . وفي عام ٣٢٣ قبل الميلاد وبعد وفاة الاسكندر المقدوني اقتسم قادة جيشه الامبراطورية الاغريقية وتمكن احد هؤلاء القادة وهو سلوقي ، من تأسيس حكم لاسرته في جزء كبير من فلسطين عام ٢٠٠ قبل الميلاد وفي البداية سمح الحكام السلوقيون لليهود في بلاد كنعان بممارسة شعائرهم الدينية واستمروا كذلك حتى عهد الملك السلوقي " انتيوخوس الرابع " الذي منعهم من ذلك في وقت لاحق . . وفي عام ١٦٧ قبل الميلاد ثار اليهود بقيادة المكابيين ضد السلوقيين بهدف اخراجهم من فلسطين او لاحراز قدر كبير من الاستقلال الذاتي وتشكيل مملكة يهودية تكون عاصمتها القدس ، وتم لهم ذلك بدعم من الامبراطورية الرومانية . . واكد الرومان عام ١٦٤ قبل الميلاد دعمهم لليهود وحسب المؤرخين الرومان قالوا " ان يهوذا المكابي صديق للشعب الروماني ومجلس الشيوخ " اليهود بطبيعتهم يستجيرون بالدول الكبيرة والقوية عسكريا لحمايتهم باستدرار عطفهم

بعد التمسكن واذلال انفسهم وقد تمسكنوا لروما في تلك العصور كما يفعلون اليوم بتمسكنهم لامريكا ودول العالم القوية من اجل الحصول على الدعم والتأييد . .

من الحكم الروماني الى الحكم العثماني

في العام ٦١ قبل الميلاد قام الرومان بغزو منطقة الشرق الادنى وتغلغل الرومان في فلسطين وحاصروا القدس ، فاصبحت بذلك مملكة يهودا تابعة لروما . . . وقد حكمتها بداية اسرة " هيدوريان " اليهودية الموالية لروما وجرى تقسيم الارض الى مناطق يهودا والجليل وبؤر صغيرة في شرقي الاردن وكانت هذه المناطق اليهودية تخضع للسيطرة الرومانية المباشرة وكانت تشمل القدس بأسم يهودا .

ولد السيد المسيح عليه السلام في بيت لحم اي في يهودا خلال السنوات الاولى لوجود الرومان في فلسطين وفي عام ٧٠ ميلادي اخمد الحكام الرومان تمرد اليهود ضدهم وقاموا بطرد اليهود من القدس على اثر تمرد الزعيم اليهودي "كوشيا" ضد روما . . بعدها اطلق الرومان اسم " فلسطين " على تلك المنطقة . . لهذا فان الاسم فلسطين اصبح فيما بعد " فلسطين سورية " في اشارة الى كامل الجزء الجنوبي من سورية الحالية . . . واليهود الذين يريدون مواصلة شعائرهم الدينية فروا من فلسطين او تم نفيهم بالقوة على ايادي الرومان وايامها تشكل الشتات اليهودي الثاني ، غير ان بعض الجماعات اليهودية بقيت في الجليل في شمال فلسطين بصورة اساسية وهنا يلاحظ المرء ان هذه القبائل اليهودية تتميز بالتمرد ضد من يحسنون اليها وان العصيان صفة تلازمهم في كل زمان ومكان وعلى هذا الاساس فان احتمال تمردهم على الولايات المتحدة والدول التي تساندهم حاليا ، امر وارد عند اليهود من واقع طبيعتهم الخبيثة ، ولا نستغرب حدوث ذلك ان شعروا بالامان والسلام في اسرائيل الحالية ولم يعودوا بحاجة لدول اجنبية في دعم مشاريعهم العدوانية . . حكمت الامبراطورية الرومانية في فلسطين حتى القرن الرابع الميلادي تلتها الامبراطورية البيزنطية وفي عهد البيزنطيين انتشرت المسيحية آنذاك في معظم المناطق الفلسطينية . وفي اوائل القرن السابع الميلادي وبعد ظهور الاسلام في جنوب الجزيرة العربية تحركت الجيوش العربية الاسلامية لفتح مناطق عديدة في الشرق الادنى وتمكنت من التغلب على معظم بلاد الشرق الاوسط بما فيها فلسطين . . . وتم فتح القدس عام ٦٣٨ ميلادية في عهد الخليفة المسلم " عمر بن الخطاب " الذي اعطى الامن والامان لسكانها وسمح الحكام المسلمون منذ ذلك الوقت للمسيحيين واليهود بالبقاء على دياناتهم وقبل معظم المسيحيين الاسلام